الوقيعةُ في العُلماءِ

سبيلُ أهلِ الأهواءِ

"إيّاك والوقيعةَ في العلماء؛ فإن لحومهم مسمومة، والطعنُ فيهم طعنٌ في ميراث النبوة"

"ويجعلون من الوقيعة سبيلًا، ومن التشكيك عبادةً"

بشار بن صادق آل صلاح

https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

الوقيعةُ في العُلماءِ

سبيلُ أهلِ الأهواءِ

حقوق الطبع والنشر للكل محفوظة

الكتاب/ الوقيعة في العلماء سبيل أهل الأهواء

الكاتب/ بشار بن صادق آل صلاح

الطبعة/ الأولى 1447-2026م

النوع/ ملون

تكرموا بإرسال ملاحظاتكم واقتراحاتكم

ونصائحكم على 00967784637638 وتساب

الوقيعةُ في العُلماءِ

سبيلُ أهلِ الأهواءِ

بشار بن صادق آل صلاح

"في زمنٍ ارتفع فيه صوتُ الرويبضة، وتجرأ سفهاءُ الأحلام علىٰ جنابِ العلماءِ الأعلام،

وصارت الوقيعةُ في أهلِ العلمِ تجارةَ المفاليس، ومجالسُ السخريةِ بضاعةَ المفلسين؛

برز أقوامٌ لا يرفعهم علمٌ ولا خُلُق، فطلبوا الرفعةَ بالطعن، والشهرةَ بالتنقص،

ينالون من ورثةِ الأنبياء، ويخوضون في أعراضِ أهلِ الفضلِ والاقتداء.

فكان هذا المختصرُ تذكيرًا بحرمةِ العلماء، وبيانًا أن الوقيعةَ فيهم سبيلُ أهلِ الأهواءِ والجفاء".

الكاتب عفا الله عنه

مقدمة

الحمدُ للهِ الذي رفعَ أهلَ العلمِ درجات، وجعلهم للخلقِ مصابيحَ هدايةٍ ونجاة، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تُنير القلوبَ بعد الظلمات، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، إمامُ الهدىٰ ومعلِّمُ البريات، صلىٰ الله وسلم وبارك عليه، وعلىٰ آله وصحبه ومن سار علىٰ نهجهم إلىٰ يوم الممات.

أما بعد:

فإنَّ من أعظمِ البلايا التي ابتُليت بها الأمةُ في هذا الزمان: جرأةُ الجهال، وارتفاعُ صوتِ السفهاء، وتصدُّرُ من لا خلاقَ له ولا علم ولا حلم، حتىٰ صار كثيرٌ من الناس يخوضون في دينِ الله بغيرِ هدىٰ، ويتكلمون في أهلِ العلم بغيرِ ورعٍ ولا حياء.

لقد نطق الرويبضة، وكثر المتعالمون، وقلَّ الأدب، وضعفت هيبةُ العلماء في قلوبِ أقوامٍ ما عرفوا للعلمِ قدرًا، ولا لأهله منزلة؛ فصار الطعنُ في العلماء عند بعضهم بطولة، والسخريةُ من أهلِ الفضل فاكهةَ المجالس، وتتبعُ الزلات بابًا للشهرة والظهور.

وكم رأينا في هذا العصر من جاهلٍ لم يرسخ في العلم قدمُه، ولم يعرف من الشريعة إلا أطرافًا مبتورة، ثم يمدُّ لسانَه في أئمةِ الإسلام، ويتجاسر علىٰ العلماء الأعلام، بكلماتٍ لو وُزنت بالجهل لرجحت، ولو قِيسَت بسوء الأدب لفاضت.

وما علم هؤلاء أن العلماءَ هم ورثةُ الأنبياء، وأنهم حُرَّاسُ الشريعة، وحملةُ الدين، وأن الأمة إذا أسقطت علماءها؛ فتحت أبوابَ الفتن علىٰ نفسها، وأفسحت الطريقَ لكل متكلمٍ جاهل، ولكل صاحبِ هوىً وضلالة.

وإنَّ أهلَ الأهواء قديمًا وحديثًا ما عرفوا طريقًا لهدمِ الدين أخطرَ من إسقاط العلماء؛ لأن الناس متىٰ سقطت الثقةُ بعلمائهم، تاهوا بين الآراء، وتخطفَتهم الشبهات، وصاروا أتباعَ كل ناعق، يميلون مع كل ريح.

وقد رأيتُ كثرةَ ما يُنشر في وسائلِ التواصل من الوقيعةِ في أهلِ العلم، والطعنِ في نياتهم، والسخريةِ من فتاواهم، والتنقصِ لمكانتهم، حتىٰ نشأ بعضُ الشباب علىٰ قلةِ الأدب مع العلماء، وسوءِ الظنِّ بهم، والتجرؤِ علىٰ جنابهم؛ فرأيتُ أن من الواجب التذكيرَ بحرمةِ العلماء، وبيانَ مكانتهم، والتحذيرَ من الوقوع في أعراضهم، نصحًا للأمة، وذبًّا عن أهلِ العلم، وإحياءً لمعاني التوقيرِ التي كادت تذبل في زمنِ الضجيج والفتن.

ولستُ في هذا الكتاب أدعي العصمة لأحدٍ بعد رسولِ الله ﷺ، فكلُّ أحدٍ يؤخذُ من قولِه ويُرد إلا المصطفىٰ ﷺ، والعالمُ بشرٌ يخطئ ويصيب، لكنَّ الشأنَ كلَّ الشأن في العدلِ والإنصاف، وحفظِ الأقدار، ومعرفةِ الحقوق، والفرقِ بين النصيحةِ الشرعية والفضيحة، وبين البيانِ بعلمٍ وعدل، والوقيعةِ بهوىً وجهل.

وهذه صفحاتٌ مختصرة، جمعتُ فيها شيئًا من النصوصِ والآثار، وكلامِ أهلِ العلم، والتنبيهاتِ النافعة؛ بأسلوب سهل ميسر، رجاءَ أن تكون سببًا في تذكير الغافل، وكفِّ ألسنةِ المتجرئين، وغرسِ تعظيمِ أهلِ العلم في نفوس الناشئة.

وهي عبارة عن منشورات متفرقة كُتبت ثم بدا لي أن أجمعها في صفحات لتعم الفائدة.

وقد حرصتُ أن يكون سهلًا ميسرًا مختصرًا فلهذا لم أتوسع في ذكر النقولات الأحاديث والآثار والقصص والأخبار وأقوال أهل العلم،

ولم أتطرق لذكر أقوال المفسرين عند الآيات المذكورة.

ولـم أذكـر تخريجًـا أو ترقيمًـا للأحاديـث –وجـل الأحاديـث الـوادرة في هـذه الصفحات صحيحة–

أسألُ الله الكريم أن ينفع بها كاتبَهـا وقارئهـا، وأن يحفـظ علمـاءَ المسـلمين، وأن يرزقنا الأدبَ مع أهلِ الفضل، وأن يجنبنـا الزلـلَ في الأقـوال والأعمـال، إنـه ولـيُّ ذلـك والقادرُ عليه.

وكتبه المعتصم بالله راجيًا عفو ربه ورضاه

بشار بن صادق آل صلاح الحُبيشي

فضلُ العلماءِ ومكانتُهم

إنَّ العلماءَ هم صفوةُ الخلق بعد الأنبياء، وأهلُ الهدايةِ والدلالة، وبهم يحفظُ اللهُ دينَه، ويُحيي شريعتَه، ويكشفُ ظلماتِ الجهلِ والضلالة. وما عُرفت معالمُ الحقِّ في أمةٍ إلا بعلمائهم، ولا اندفعت الفتنُ والشبهاتُ إلا بثباتِ أهلِ العلم والبصيرة.

وقد عظَّم اللهُ شأنَ العلماء في كتابه، ورفع قدرَهم بين عباده، وجعل لهم من الفضلِ والمكانةِ ما ليس لغيرهم؛ لأنهم أهلُ الخشية، وأربابُ البصيرة، وحملةُ ميراثِ النبوة.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [سورة الزمر:٩].

فهذه الآيةُ الكريمةُ تقطعُ بعدمِ استواءِ أهلِ العلمِ وأهلِ الجهل؛ إذ كيف يستوي من عرف ربَّه ودينَه وشرعَه، بمن عاش في ظلماتِ الجهل والتخبط؟

وقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾ [سورة المجادلة:١١].

فأهلُ العلمِ مرفوعو القدرِ عند الله، مكرمون في الدنيا والآخرة، وكلما ازداد العبدُ علمًا نافعًا ازداد رفعةً وفضلًا.

وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [سورة فاطر:٢٨].

فخصَّ العلماءَ بكمالِ الخشية؛ لأنهم أعلمُ الناس بالله، وكلما كان العبدُ بالله أعرفَ كان له أخشىٰ وأتقىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة آل عمران:١٨].

فبدأ سبحانه بنفسه، ثم ثنَّىٰ بالملائكة، ثم قرن أهلَ العلمِ بهم، وفي هذا من عظيمِ شرفِ العلماءِ ورفعةِ منزلتهم ما لا يخفىٰ.

وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة العنكبوت:٤٣].

فأهلُ العلمِ هم أهلُ الفهمِ الصحيح، والإدراكِ العميق، والبصيرةِ النافذة.

ولم يقتصر فضلُ العلماءِ علىٰ القرآن الكريم، بل جاءت السنةُ النبويةُ ببيانِ عظيمِ قدرهم، ورفعةِ منزلتهم، وفضلِ سلوكِ طريقِ العلم.

فعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «من يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفقِّهه في الدين».

فدلَّ الحديثُ علىٰ أنَّ من أعظمِ علاماتِ إرادةِ الخيرِ بالعبد: أن يرزقه اللهُ الفقهَ في الدين، والعلمَ بشرعه.

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر».

فأيُّ منزلةٍ أعظمُ من منزلةٍ يكون صاحبُها وارثًا للأنبياء؟!

إنه ميراثُ الهداية، ومقامُ البلاغ، وشرفُ الدعوةِ إلىٰ الله.

أعظم وأغلىٰ وأثمن وأشرف وأكرم ميراث.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «مثلُ ما بعثني اللهُ به من الهدىٰ والعلم كمثلِ الغيثِ الكثير أصاب أرضًا...».

فشبَّه ﷺ العلمَ بالغيث؛ لأن القلوبَ تحيا به كما تحيا الأرضُ بالمطر، والعلماءُ هم الذين يحملون هذا الغيثَ إلىٰ الناس، فيحيون به القلوبَ بعد موتها.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «ومن سلك طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سهَّل اللهُ له به طريقًا إلىٰ الجنة».

فطلبُ العلمِ طريقٌ إلىٰ الجنة، وسبب من أسباب دخولها والفوز بها، وأهله من أقربِ الناس إلىٰ رحمةِ الله ورضوانه.

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي ﷺ أنه قال: «فضلُ العالمِ علىٰ العابدِ كفضلِ القمرِ علىٰ سائرِ الكواكب».

فالعابدُ نفعُه لنفسه، أما العالمُ فنفعُه للأمةِ كلِّها؛ يعلم الجاهل، ويرشد الضال، ويحفظ علىٰ الناس دينهم.

وفضائل العلم وحملته كثيرة مشهورة وما ذكرته هنا إلا غيظ من فيض أو قطرة من مطرة، ليعرف القارئ ما للعلماء من منزلة عند الله وعنده رسوله ﷺ .

ولذلك كانت الأمةُ عبر تاريخها تعرف للعلماءِ قدرَهم، وتُجلُّهم وتوقرهم، لأنهم حماةُ الشريعة، وأمناءُ الدين، وبهم يُعرف الحلالُ والحرام، وتُصان العقائدُ من الانحراف.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين: "العلماء هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء بهم يهتدي الحيران في الظلماء وحاجة

الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلىٰ الطعام والشراب وطاعتهم أَفْرَضُ عليهم من طاعة الأمهات والآباء ...".

فإذا غاب العلماءُ أو قُلِّل من شأنهم؛ ظهرت الفوضىٰ، وارتفع الجهل، وتجرأ المتعالمون، وتصدر الرويبضة، واختلط الحقُّ بالباطل.

ولهذا كان تعظيمُ العلماءِ من تعظيمِ دينِ الله، والأدبُ معهم من شرفِ النفسِ وكمالِ العقل، وليس المقصودُ بذلك عصمتَهم، فكلُّ أحدٍ يؤخذُ من قوله ويُردُّ إلا رسولَ الله ﷺ، لكنَّ المسلمَ العاقلَ يعرفُ لأهلِ الفضل فضلَهم، ويحفظُ لأهلِ العلم مكانتَهم، ولا يجعلُ أخطاءَهم — وهم بشر — سبيلًا إلىٰ إسقاطِ هيبتهم، أو الطعنِ في جنابهم.

فرحم اللهُ علماءَ الأمةِ الأحياءَ منهم والأموات، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرَ الجزاء، فما حفظ اللهُ الدينَ بعد توفيقه إلا بهم، ولا انتشر العلمُ إلا علىٰ أيديهم، ولا عرف الناسُ سبيلَ الحق إلا بنورِ ما حملوه من الكتابِ والسنة.

حرمةُ الوقيعةِ في أعراضِ العلماء

إنَّ أعراضَ العلماء ليست ميدانًا لكل متكلم، ولا ساحةً يعبث فيها الجهالُ وأصحابُ الأهواء؛ فإنَّ العلماءَ لهم من الحرمةِ والمكانةِ ما ليس لغيرهم، لأنهم حملةُ الشريعة، وورثةُ الأنبياء، والذبُّ عنهم ذبٌّ عن الدين، والطعنُ فيهم طعنٌ في هيبةِ العلم ومكانةِ الشريعة.

وقد حرَّم اللهُ تعالىٰ الغيبةَ والطعنَ واللمزَ والسخريةَ بالمؤمنين عمومًا، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [سورة الحجرات:١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾ [سورة الهمزة:١].

فإذا كانت أعراضُ عامةِ المسلمين محرمةً مصونة، فكيف بأعراضِ العلماء الذين رفع اللهُ قدرهم، وجعلهم هداةً للخلق ودعاةً إلىٰ الحق؟

إنَّ الوقيعةَ في العلماء ليست ذنبًا عابرًا، بل جنايةٌ عظيمة؛ لأنها لا تقف عند شخصِ العالم، بل تمتدُّ آثارُها إلىٰ الناس جميعًا، فإذا سقط العالمُ من أعين العامة، سقط علمُه من قلوبهم، وضعفت الثقةُ بأهل العلم، وجرؤ الناسُ علىٰ الشريعة وأحكامها، وهذا أمر في غاية الخطورة.

ولهذا كان أهلُ الأهواء عبر التاريخ يبدأون بالطعن في العلماء؛ لأنهم يعلمون أن العلماءَ حصونُ الأمة، وأن إسقاطَهم يفتح بابَ الفوضىٰ والانحراف.

وقد قال النبي ﷺ: «ليس من أمتي من لم يُجلَّ كبيرَنا، ويرحم صغيرَنا، ويعرف لعالمِنا حقَّه».

فجعل ﷺ معرفةَ حقِّ العالم من أخلاقِ أهل الإيمان، ودلائلِ كمال الأدب والدين.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «سبابُ المسلمِ فسوق، وقتالُه كفر».

فإذا كان مجردُ سبِّ المسلم فسوقًا، فكيف بمن جعل لسانَه نهشًا في أعراضِ العلماء، وتتبعَ زلاتِهم، وفرحَ بالطعنِ فيهم، ونشرَ معايبَهم بين الناس؟

إنَّ كثيرًا من الناس اليوم قد استهانوا بهذا الباب الخطير، فصار بعضُهم يتكلم في العلماء بجرأةٍ عجيبة، لا يمنعه علمٌ ولا ورع، ولا يردعه خوفٌ من الله ولا تقوىٰ؛ فتراه يسخر، ويتهكم، ويصف العلماء بأقبح الأوصاف، وربما جعل ذلك مادةً للضحك والترفيه، أو وسيلةً لجمع المتابعين والإعجابات في وسائل التواصل الاجتماعي.

وما علم هؤلاء أن الكلمةَ قد تهوي بصاحبها في النار بل تقليه فيها علىٰ وجهه، وأن الطعنَ في أهلِ الفضل من دلائلِ قسوة القلب وفساد الطوية.

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «وهل يكبُّ الناسَ في النار علىٰ وجوههم — أو قال: علىٰ مناخرهم — إلا حصائدُ ألسنتهم».

وكم من رجلٍ أسقط نفسَه عند الله وعند الناس بسبب كلمةٍ قالها في عالمٍ من العلماء، أو داعيةٍ من الدعاة، أو مصلحٍ من المصلحين.

وليس المقصودُ من هذا الباب أن العلماءَ معصومون من الخطأ، فكلُّ بني آدم خطاء، والعالمُ قد يزلُّ ويخطئ، لكنَّ الشأنَ في الطريقةِ التي يُتعامل بها مع الخطأ؛ فهناك

فرقٌ بين النصيحةِ الشرعيةِ المبنية علىٰ العلمِ والعدل، وبين التشهيرِ والوقيعةِ والتنقصِ وتتبعِ الزلات.

ولقد كان السلفُ رحمهم الله يعرفون هذا الباب حقَّ المعرفة، فيحفظون للعلماءِ مكانتَهم، ويكرهون الخوضَ في أعراضهم، ويعدُّون ذلك من علاماتِ الحرمان وسوء القصد، وهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة.

كما يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أنهم يدينون الله باحترام العلماء الهداة"، أي أن أهل السنة والجماعة، يتقربون إلىٰ الله تعالىٰ بتوقير العلماء، وتعظيم حرمتهم.

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كانوا يقولون: موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار".

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "الناس عندنا أهل العلم، ومن سواهم فلا شيء".

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "لو أن فقيها علىٰ رأس جبل، لكان هو الجماعة".

فما أحوج الأمةَ اليوم إلىٰ إحياءِ الأدبِ مع العلماء، وتعظيمِ أهلِ الفضل، وكفِّ الألسنةِ عن الوقيعةِ فيهم، خصوصًا في زمنٍ كثرت فيه الفتن، وسهلت فيه وسائلُ النشر، وصار الإنسانُ يكتب الكلمةَ فتبلغ الآفاق في لحظات.

فليتقِ اللهَ امرؤٌ في لسانه، وليعلم أن أعراضَ العلماء ليست رخيصة، وأن الوقوفَ بين يدي اللهِ آتٍ لا محالة، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق:١٨].

اللهُ يدافعُ عن العلماء

من أعظمِ ما يبعثُ الطمأنينةَ في قلوبِ أهلِ العلم، ويزيد المؤمنَ يقينًا بحرمةِ الوقيعةِ فيهم: أن اللهَ سبحانه يتولىٰ الدفاعَ عن عباده المؤمنين، والعلماءُ داخلون في ذلك دخولًا أوليًّا؛ لما قاموا به من نصرةِ دينه، وتعليمِ شريعته، والدعوةِ إليه.

قال الله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الحج:٣٨].

فهذه آيةٌ عظيمةٌ تبعث الهيبةَ في قلبِ كلِّ من تطاول علىٰ أولياء الله وأهلِ العلم والفضل؛ إذ كيف يهنأ من جعل خصمَه ربَّ العالمين؟!

وإذا كان اللهُ يدافع عن عامةِ المؤمنين، فإن دفاعَه عن العلماء والدعاة وأهلِ السنة أظهرُ وأعظم؛ لأنهم قائمون بحراسةِ الدين، والذبِّ عن الشريعة، وهدايةِ الخلق.

ولذلك رأىٰ الناسُ عبر التاريخ عجيبَ صنعِ الله بمن آذىٰ العلماء، أو سعىٰ في إسقاطهم، أو فرح بالوقيعةِ فيهم؛ فما أسرعَ ما تنكشفُ عيوبُه، وتسقطُ هيبتُه، ويجعله اللهُ عبرةً بين الناس.

وكم من رجلٍ ملأ المجالسَ طعنًا في العلماء، فلم تمضِ الأيامُ حتىٰ صار ذِكرُه مقرونًا بالسوء، وسقط من أعينِ الخلق قبل أن يسقط من أعينِ أهلِ العلم.

وذلك لأن اللهَ يغارُ لدينه، ويذبُّ عن أوليائه، ويُظهرُ للناس سوء عاقبةِ من آذىٰ أهلَ الفضل والاتباع.

وليس معنىٰ هذا أن العلماءَ لا يُخطئون، أو أنهم فوقَ النقدِ والبيان، كلا؛ لكن الفرقَ عظيمٌ بين النصيحةِ الشرعية التي يُقصد بها الحق، وبين الوقيعةِ التي يُقصد بها التشهيرُ والإسقاطُ وتتبعُ الزلات.

فأهلُ الإنصاف ينصحون بعلمٍ وعدلٍ ورحمة، وأهلُ الأهواء يطعنون بجهلٍ وحقدٍ وشهوةِ ظهور.

ومن تأمل حالَ الطاعنين في العلماء وجد أن أكثرهم ما أرادوا نصحًا ولا إصلاحًا، وإنما أرادوا إسقاطَ الهيبة، وإثارةَ العامة، وجمعَ الأتباع حول الضجيج والخصومات.

ولهذا كان الواجبُ علىٰ المسلم أن يحفظ لسانَه، وأن يعلم أن اللهَ يسمع ويرىٰ، وأن من عادىٰ أولياءَ الله وآذىٰ أهلَ العلم فقد تعرَّض لسخطِ الله وانتقامه.

وقد جاء في الحديث القدسي أن الله تعالىٰ قال: «من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب».

ولا ريب أن العلماء العاملين من أولىٰ الناس بوصف الولاية؛ لما معهم من الإيمان والعلم والدعوة والخشية.

روىٰ الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي حنيفة والشافعي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ أنهما قالا: "إن لم يكن الفقهاء أولياء الله، فليس لله ولي". قال الشافعي: "الفقهاء العاملون": أي أن المراد: هم العلماء العاملون.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «المراد بولي الله العالم بالله المواظب علىٰ طاعته»

وقال أيضًا في الفتح : «لا يُحكم لإنسان آذىٰ وليًا ثم لم يعاجل بمصيبة في نفسه، أو ماله، أو ولده، بأنه سلم من انتقام الله له، فقد تكون مصيبته في غير ذلك مما هو أشد عليه كالمصيبة في الدين مثلاً».

فليحذر المسلمُ أن يكون خصيمُه يوم القيامة عالمًا من العلماء آذاه بلسانه، أو شوَّه صورتَه، أو نشر زلتَه، أو فرح بالطعنِ فيه؛ فإن حقوقَ العباد مبنيةٌ علىٰ المشاحة، والكلمةُ قد تهوي بصاحبها في دركاتِ الهلاك.

عقوبةُ الوقيعةِ في أعراضِ العلماء

اعلم – وفقني الله وإياك- أنَّ الوقيعةَ في العلماء ليست كلمةً عابرة، ولا زلةَ لسانٍ هيِّنة، بل هي بابٌ خطير من أبوابِ الخذلان، وعلامةٌ علىٰ مرضِ القلب، وفسادِ القصد، وقلةِ تعظيمِ شعائرِ الله. وكيف لا يكون الأمرُ كذلك، والعلماءُ هم حملةُ الشريعة، وورثةُ الأنبياء، وحراسُ الدين من التحريفِ والضلال؟

وما تجرأ قومٌ علىٰ أعراضِ العلماء إلا بعدما خلت قلوبُهم من الهيبة، وضعفت في نفوسهم حرمةُ العلم، فصاروا يخوضون في أهلِ الفضل كما يخوض السفهاءُ في مجالسِ اللهو واللغو، لا يزنون كلمة، ولا يخافون حسابًا، ولا يقدِّرون لعالمٍ قدرَه.

ولقد كان السلفُ الصالح يخافون من الوقوعِ في العلماء خوفًا شديدًا، ويرون ذلك من أعظمِ أبوابِ الحرمان؛ لأن اللهَ جل وعلا يغارُ لدينه، ويحفظُ أولياءه، ويدافعُ عن أهلِ العلم والفضل.

رُوي عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: "لحومُ العلماءِ مسمومةٌ، من شمَّها مرض، ومن أكلها مات".

وهذه الكلمةُ وإن كانت قصيرةَ الألفاظ، إلا أنها عظيمةُ المعاني، تقشعرُّ منها جلودُ أهلِ الورع والخشية؛ فإن الإمام أحمد لم يُرد موتَ الأجساد، وإنما أراد موتَ القلوب، وفسادَ الأرواح، وحرمانَ العبد من نورِ الهداية وبركةِ العلم.

فكم من رجلٍ كان قلبُه حيًّا، فلما أطلق لسانَه في العلماء أظلم قلبُه، وقسا فؤادُه، وحُرم الانتفاعَ بالعلم، وصار يتقلَّب في أوديةِ الشبهات والخصومات!

ولهذا قال الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا يُكتب بماءِ الذهب، فقال: "اعلمْ - يا أخي- وفَّقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء -رحمة الله عليهم- مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق علىٰ من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم".

تأمل قوله: "وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة"؛ فإنها ليست حادثةً عابرة، بل سُنَّةٌ ماضية، يعرفها من قرأ التاريخ وتأمل أحوال الناس.

فكم من رجلٍ اشتغل بالطعنِ في العلماء، وتتبعِ عثراتهم، والسخريةِ منهم؛ ففضحه الله علىٰ رؤوس الخلائق، وكشف سترَه، وأسقط هيبتَه، حتىٰ صار عبرةً لمن يعتبر.

وذلك لأن الجزاء من جنس العمل؛ فمن تتبع عوراتِ أهلِ الفضل فضحه الله، ومن أراد إسقاطَ هيبةِ العلماء أسقط الله هيبتَه من القلوب.

ثم قال ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كلُّ من أطلق لسانه في العلماء بالثلب، بلاه الله عز وجل قبل موته بموت القلب".

وما أشدَّها من عقوبة!

فإن موتَ الجسد نهايةُ كل حي، أما موتُ القلب فهو الهلاك الحقيقي؛ إذ يعيش صاحبه بصورةِ إنسان، وقلبُه خراب، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، ولا يجد لذةَ الطاعة، ولا نورَ العلم، ولا هيبةَ الذكر.

ومن أعظم علاماتِ موتِ القلب: التلذذُ بالوقيعةِ في الصالحين، والفرحُ بالطعنِ في العلماء، والتشفي بزلاتِ أهلِ الفضل.

وقال زيدُ بنُ سنانٍ الأسدي: "إذا كان طالبُ العلم قبل أن يتعلم مسألةً في الدين يتعلم الوقيعةَ في الناس، متىٰ يفلح؟!"

وهذا من أعظمِ الفقه؛ فإن بعض الناس يظنُّ أن العلمَ كثرةُ الكلام، أو الجدل، أو تتبعُ أخطاء الآخرين، بينما العلمُ الحقيقي يورث الخشيةَ والأدبَ والتواضع.

فإذا كان أولُ ما يتعلمه المرءُ الطعنَ والتنقصَ والخوضَ في الناس، فمتىٰ يصفو قلبُه؟ ومتىٰ ينتفع بعلمه؟ ومتىٰ يُبارك له في طلبه؟

وقال مالكُ بنُ دينار رحمه الله: "كفىٰ بالمرءِ شرًّا ألَّا يكون صالحًا، وهو يقع في الصالحين!"

فجمع بهذه الكلمة بين فسادين عظيمين: فسادِ النفس، وفسادِ اللسان؛ إذ لم يشتغل العبد بإصلاح عيوبه، بل انشغل بالطعنِ في أهلِ الصلاح والفضل.

وما أكثرَ هذا الصنفَ في زماننا!

تجد أحدهم مقصرًا في عبادته، ضعيفًا في علمه، سيئًا في خُلقه، ثم يجعل لسانَه سيفًا مسلولًا علىٰ العلماء والدعاة والمصلحين.

وقال الحسنُ بنُ ذكوان لرجلٍ تكلم عنده في أحد الناس: "مَه؛ لا تذكر العلماء بشيء فيميت الله قلبك".

لأن القلوبَ بيدِ الله، ومن أعظمِ أسبابِ قسوتها وحرمانها: الجرأةُ علىٰ أهلِ العلم والفضل.

وقال ابنُ الأذرعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الوقيعةُ في أهل العلم - لا سيما أكابرهم - من كبائر الذنوب".

وكيف لا تكون من الكبائر، وآثارُها تتعدىٰ إلىٰ الأمة كلها؟

فالطعنُ في العالم لا يقف عند شخصه، بل يُسقط الثقةَ بالعلم، ويُزهِّد الناسَ في أهله، ويفتح أبوابَ الفوضىٰ والجهل والفتن.

ولهذا كان أهلُ الأهواء يفرحون بإسقاط العلماء؛ لأن سقوطَ العلماء يعني خلوَّ الساحةِ للجهال وأربابِ البدع والانحراف.

وذكر الثعلبي في كتاب آداب الملوك عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «من استخف بالعلماء ذهبت آخرته»

وقال عبدُ الله بنُ المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: "من استخفَّ بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخفَّ بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخفَّ بالإخوان ذهبت مروءته".

فانظر كيف جعلا الاستخفافَ بالعلماء سببًا لذهابِ الآخرة؛ لأن من لم يعرف لأهلِ العلم قدرَهم، ولم يحفظ حرمتَهم، عوقب بحرمانِ الخير، وفسادِ الدين، وسوءِ الخاتمة — نسأل الله السلامة.

وإن المتأملَ في أحوال الطاعنين في العلماء يرىٰ في كثيرٍ منهم قسوةً في القلب، واضطرابًا في الفكر، وحرمانًا من بركة العلم، وكثرةَ خصوماتٍ وجدالات، حتىٰ يصبح الواحدُ منهم لا يعيش إلا علىٰ تتبع الزلات، ونشر العثرات، والبحثِ عن كل ما يُسقط به أهلَ الفضل من أعين الناس.

ولو اشتغل هؤلاء بإصلاح أنفسهم، وتزكية قلوبهم، وطلب العلم النافع؛ لكان خيرًا لهم من الخوضِ في أعراض العلماء.

فيا عبدَ الله، احفظ لسانك، واعرف لأهلِ العلم قدرَهم، ولا تجعل نفسك خصيمًا لورثة الأنبياء، فإن لحومَ العلماء مسمومة، وعادةَ الله في منتقصيهم معلومة، ومن زرع الشوكَ في طريقِ أهلِ الفضل حصد الندامةَ والخسران.

الوقيعةُ في العلماءِ سبيلُ أهلِ الأهواءِ

ما عُرف أهلُ الأهواءِ والبدعِ في قديمِ الدهر وحديثه بشيءٍ أظهرَ من الطعنِ في العلماء، والوقيعةِ في أهلِ السنة والاتباع؛ لأن العلماءَ هم الحصونُ التي تتحطم عليها الشبهات، والسدودُ التي تقف في وجه الانحرافات، وأهلُ الأهواء لا يستطيعون نشرَ باطلهم ما دامت هيبةُ العلماء قائمةً في القلوب.

ولهذا كانت أولُ خطواتِ أهلِ البدع: إسقاطَ العلماء، وتشويهَ صورتهم، وتنفيرَ الناس منهم؛ حتىٰ يخلوَ لهم الطريق، وتروجَ شبهاتهم بين العامة والجهال.

قال أحمدُ بنُ سنانٍ القطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ليس في الدنيا مبتدعٌ إلا وهو يُبغض أهلَ الحديث".

وما ذاك إلا لأن أهلَ الحديث هم أهلُ الاتباع، وحملةُ السنة، والذابُّون عن شريعةِ النبي ﷺ، والمبتدعُ لا يستطيع تمريرَ بدعته إلا إذا أسقط مكانةَ أهلِ السنة في قلوب الناس.

فأهلُ الأهواء لا يضيقون بشيءٍ ضيقَهم بأهلِ العلم؛ لأن العالمَ الصادقَ يكشفُ زيفَهم، ويفضحُ انحرافَهم، ويهدمُ بنيانَ باطلهم بالحجةِ والبرهان.

ولهذا تراهم يرمون العلماءَ بأقبحِ الأوصاف، ويصفونهم بالجهلِ والتشددِ والجمود، لا لشيءٍ إلا لأن العلماءَ وقفوا في وجوهِ أهوائهم وشهواتهم.

وقال الإمامُ أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "علامةُ أهلِ البدع الوقيعةُ في أهلِ الأثر".

وهذه كلمةٌ عظيمةٌ من إمامٍ خبيرٍ بأحوالِ الفرقِ وأهلِ الأهواء، بيَّن فيها أن الطعنَ في أهلِ السنة والأثر ليس أمرًا عارضًا، بل هو علامةٌ ظاهرةٌ من علاماتِ أهلِ البدع والانحراف.

فكلما رأيت رجلًا يُكثر من الوقيعةِ في العلماء، ويعيش علىٰ تتبعِ زلاتهم، والتنفيرِ منهم، والسخريةِ بهم؛ فاعلم أن في قلبه مرضًا من أمراضِ الهوىٰ، ونصيبًا من الانحراف — قلَّ أو كثر.

ولذلك كان السلفُ يعدُّون سلامةَ اللسانِ تجاه العلماء من علاماتِ سلامةِ العقيدة، لأن القلبَ إذا امتلأ توقيرًا للسنةِ وأهلها أحبَّ العلماءَ وعرف لهم قدرَهم، وإذا فسد القلبُ امتلأ حقدًا علىٰ أهلِ العلم والاتباع.

وما أكثرَ ما يُبتلىٰ الناسُ اليوم بأقوامٍ يزعمون الإصلاحَ والنصيحة، وما مقصدُهم إلا إسقاطُ العلماء، وجمعُ الناس حول الضجيج والخصومات، حتىٰ صار بعضُ الشباب لا يعرف العالمَ إلا من خلال المقاطع الساخرة، أو العباراتِ المبتورة، أو حملاتِ التشويه التي يثيرها أهلُ الأهواء.

وهذه من أعظمِ المصائب؛ لأن الأمةَ إذا سقط علماؤها من أعينِ الناس، تصدر الجهال، وتكلم الرويبضة، وضاعت معالمُ الحق بين كثرةِ الأصوات واختلاطِ الآراء.

وإن أهلَ الأهواء قديمًا وحديثًا يدركون أن هدمَ العالم أسهلُ عندهم من هدمِ ألفِ كتاب؛ لأن العالمَ إذا سقط من القلوب، سقط معه علمٌ كثير، وانطفأت مصابيحُ هداية، وفتح ذلك أبوابًا واسعةً للبدع والفتن.

ولهذا وجب علىٰ المسلم العاقل أن يكون علىٰ حذرٍ من مجالسِ الوقيعة، وصفحاتِ التشهير، وحساباتِ السخريةِ والتنقص؛ فإنها سمومٌ تُفسد القلوب، وتزرع الجرأةَ علىٰ أهلِ العلم، وتُميت مع الأيام هيبةَ الشريعة من النفوس.

علاماتُ أهلِ الأهواءِ في تعاملِهم مع العلماء

أهل الأهواءِ والبدع لا يثبتون علىٰ جادةِ الحق، ولا يسيرون علىٰ منهجِ أهلِ الإنصاف والعدل، بل تظهر انحرافاتُهم في أقوالِهم وأفعالِهم، ومن أوضحِ ما يكشف حقيقتَهم: طريقتُهم في التعامل مع العلماء.

فإن أهلَ السنةِ يعرفون للعلماءِ قدرَهم، ويحفظون لهم مكانتَهم، ويترحمون عليهم، ويأخذون عنهم العلمَ والأدب، ويعالجون الخطأ بالعدلِ والإنصاف والنصيحة.

أما أهلُ الأهواءِ فإنهم يتعاملون مع العلماء بروحِ الخصومةِ والتشفي، لا بروحِ النصيحةِ والديانة، ولهذا كانت لهم علاماتٌ ظاهرة، يعرفها من أبصر أحوالَهم وتأمل مسالكَهم.

ومن أعظمِ علاماتِهم: الوقيعةُ في العلماء، فلا تكاد تجد صاحبَ هوىٰ إلا ولسانُه يلوك أعراضَ أهلِ العلم، يطعنُ في هذا، ويُسقط ذاك، ويُشكك في نيات العلماء ومقاصدهم.

وقد قال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "علامةُ أهلِ البدع الوقيعةُ في أهلِ الأثر".

فجعل الطعنَ في أهلِ السنة والأثر أمارةً ظاهرةً علىٰ فسادِ المنهج وانحرافِ الطريق.

ومن علاماتهم: تتبعُ الزلات والعثرات، فلا يلتفتون إلىٰ علمِ العالم وفضله وتعليمه وجهاده، وإنما يترصدون كلمةً أو موقفًا أو اجتهادًا، ثم يضخمونه ويجعلونه سببًا لإسقاطِ العالم والتنفيرِ منه.

وهذا دليلُ مرضِ القلوب؛ لأن النفوسَ الكريمة تنظر إلىٰ المحاسن، وتلتمس الأعذار، أما القلوبُ المريضة فلا ترىٰ إلا العيوبَ والعثرات.

ومن علاماتهم: الفرحُ بخطأ العالم، وربما أظهروا السرورَ إذا زلَّ عالمٌ أو أُسيءَ إليه، وكأنهم حققوا نصرًا عظيمًا!

ولو كانوا يريدون الحقَّ لحزنوا لوقوعِ الخطأ، ودعوا للعالم بالهدايةِ والتوفيق، لكنَّ الهوىٰ يُعمي ويُصم.

ومن علاماتهم كذلك: إسقاطُ المحاسنِ عند وجودِ الخطأ، فالعالمُ عندهم يسقط بزلةٍ واحدة، وتضيع حسناتُ عمرٍ طويل بسبب اجتهادٍ أخطأ فيه أو كلمةٍ زلَّ بها لسانُه.

وهذا خلافُ العدلِ الذي أمر الله به، فإن المؤمنَ منصفٌ، يزن الأمورَ بالقسط، ولا يبخسُ الناسَ أقدارَهم.

ومن علاماتهم: الجرأةُ علىٰ الأكابر، فتراهم يتكلمون في كبارِ العلماء بوقاحةٍ وسوءِ أدب، لا يراعون سنًّا، ولا علمًا، ولا سابقةً في الإسلام، وربما تكلم صغيرُهم في إمامٍ أفنىٰ عمرَه في العلم والتعليم والدعوة.

وما ذاك إلا لقلةِ الأدب، وضعفِ التربية، وفسادِ القلوب.

ومن علاماتهم: سوءُ الظنِّ بالعلماء، فيفسرون كلامَهم علىٰ أسوأِ المحامل، ويحملون تصرفاتِهم علىٰ أقبحِ المقاصد، فإذا تكلم العالمُ قالوا: أراد الدنيا، وإذا نصح قالوا: يطلب الشهرة، وإذا سكت قالوا: جبُن وخاف.

وهكذا لا يسلم العالمُ منهم علىٰ حال.

ومن علاماتهم: ردُّ الحق إذا جاء به العالمُ الذي لا يوافق أهواءَهم، فهم لا يبحثون عن الحق، وإنما يبحثون عمَّا يوافق رغباتِهم واتجاهاتِهم، فإذا خالفهم العالمُ عادوه وطعنوا فيه.

ومن علاماتهم أيضًا: كثرةُ الخصوماتِ والجدالات، فهم يعيشون علىٰ القيلِ والقال، وإثارةِ الفتن، ونقلِ الكلام، وتتبعِ الخلافات، حتىٰ تصبح المجالسُ والصفحاتُ عندهم ساحاتِ صراعٍ وطعنٍ وتنقص.

أما أهلُ السنةِ فيشتغلون بالعلمِ النافع، والدعوة، والإصلاح، وتزكيةِ النفوس.

ومن علاماتهم: استخدامُ الألقابِ الساخرة والعباراتِ الجارحة في وصف العلماء، فيسقطون هيبتَهم بالسخريةِ والاستهزاء، ويُربُّون الشبابَ علىٰ الجرأةِ علىٰ أهلِ العلم.

وقد كان السلفُ يعدُّون سوءَ الأدب مع العلماء من علاماتِ الحرمان، لأن من لم يعرف لأهلِ الفضل قدرَهم لم يُبارك له في علمٍ ولا عمل.

ومن علاماتهم كذلك: نشرُ الشائعاتِ والمقاطعِ المبتورة، وإخفاءُ الحقائق، وإثارةُ العامة ضد العلماء، حتىٰ تتحول مواقعُ التواصل إلىٰ ساحاتِ تشويهٍ وتنفير وجدال.

ومن أعظمِ علاماتهم: قلةُ الانتفاعِ بالعلم؛ لأن القلبَ الممتلئ بالهوىٰ والخصومات لا يثبت فيه نورُ العلم، ولهذا تجد كثيرًا منهم يحفظون الكلامَ والجدل، لكنهم محرومون من الخشيةِ والسكينةِ والأدب.

ولو تأملتَ حالَ أهلِ الأهواءِ لوجدتَ أن أكثرَهم لا يشتغلون بإصلاح أنفسهم، ولا بطلبِ العلمِ النافع، وإنما يعيشون علىٰ تتبعِ أخطاء العلماء، وكأنهم خُلقوا رقباءَ علىٰ الناس لا مصلحين لأنفسهم.

فيا أخي في الله، احذر سبيلَ أهلِ الأهواءِ، وتمسك بالأدبِ مع العلماء، واعرف لأهلِ الفضل فضلَهم، ولا تجعل قلبَك مرتعًا للخصوماتِ والطعنِ والتنقص.

فإن سلامةَ القلبِ من الوقيعةِ في العلماء نعمةٌ عظيمة، ومن علاماتِ الخيرِ والتوفيق، ومن أسبابِ بركةِ العلمِ والعمل.

وسائلُ أهلِ الأهواءِ في محاولةِ إسقاطِ هيبةِ العلماء

لم يكن أهلُ الأهواءِ في يومٍ من الأيام بعيدين عن استهدافِ العلماء والطعنِ فيهم؛ لأنهم يعلمون أن العلماءَ هم الحصنُ الذي تتحطم عليه الشبهات، والسدُّ الذي يقف في وجه البدع والانحرافات، وأن الأمةَ ما دامت تُجلُّ علماءَها وتصدر عن توجيههم فلن يجد الباطلُ إلىٰ القلوب سبيلًا.

ولهذا سلك أهلُ الأهواءِ عبر التاريخ وسائلَ كثيرةً لإسقاطِ هيبةِ العلماء، وتشويهِ صورتهم، والتنفيرِ منهم، حتىٰ يخلوَ لهم الجو، ويضعفَ تأثيرُ أهلِ العلم في الناس.

ومن أخطرِ وسائلِهم: نشرُ الشائعاتِ والمكذوبات، فيختلقون الأكاذيبَ علىٰ العلماء، وينسبون إليهم ما لم يقولوه، أو يحرِّفون كلامهم عن مواضعه، أو يبنون الأحكامَ علىٰ الظنونِ والأوهام، ثم يروِّجون ذلك بين الناس حتىٰ يظنَّ الجاهلُ أن ما يُقال حقائقُ ثابتة.

ومن وسائلِهم الخبيثة: اجتزاءُ الكلامِ وإخراجُه عن سياقه، فيأخذون للعالمِ كلمةً من محاضرةٍ طويلة، أو مقطعًا مبتورًا من كلامه، ثم ينشرونه بين الناس بطريقةٍ توهم معنىً لم يرده، ليُثيروا العامةَ عليه، ويُشعلوا حملاتِ السخريةِ والتنقص.

وهذه طريقةٌ قديمةٌ لأهلِ الباطل، إذ لا يستطيعون مواجهةَ الكلام كاملًا؛ لأن الحقَّ إذا ظهر بتمامه أبطل شبهاتهم، فيلجؤون إلىٰ بترِ الكلام وتحريفِ المقاصد.

ومن وسائِلِهم أيضًا: تتبعُ الزلاتِ والعثرات، فلا يذكرون للعالمِ علمًا ولا تعليمًا ولا دعوةً ولا إصلاحًا، وإنما يترصدون له خطأً أو اجتهادًا أو عبارةً محتملة، ثم يجعلونها معولًا لهدمِ مكانته، وسببًا لإسقاطِه من أعين الناس.

ولو أنصفوا لعلموا أن العصمةَ ليست لأحدٍ بعد رسولِ الله ﷺ، وأن العالمَ مهما بلغ من الفضل فهو بشرٌ يخطئ ويصيب، لكنَّ أهلَ الأهواءِ لا يريدون إنصافًا، وإنما يريدون إسقاطَ الهيبة وكسرَ المنزلة.

ومن وسائِلِهم: السخريةُ والاستهزاء، فيجعلون العلماء مادةً للضحك والتندر، وينشرون الصورَ الساخرة والمقاطعَ المستهزئة والتعليقاتِ الجارحة، حتىٰ يعتاد الناسُ رؤيةَ العلماء بصورةٍ تُسقط مكانتَهم من القلوب.

وهذا من أخطرِ الأساليب؛ لأن كثرةَ الاستهزاء تُميت الهيبةَ في النفوس شيئًا فشيئًا، حتىٰ ينشأ بعضُ الشباب علىٰ الجرأةِ علىٰ العلماء، وسوءِ الأدب معهم، والطعنِ فيهم بلا خوفٍ ولا حياء.

ومن وسائِلِهم كذلك: تضخيمُ الأخطاء، فربما أخطأ العالمُ في مسألةٍ اجتهادية، أو زلَّ في لفظة، فيجعلون من ذلك مصيبةَ الدهر، ويُقيمون الدنيا ولا يقعدونها، ويُشعرون الناسَ أن العالمَ قد سقط وانتهىٰ.

بينما لو وقع مثلُ ذلك من أهلِ أهوائهم التمسوا له الأعذار، ودفنوا زلاته، وكتموا عيوبه.

ومن وسائِلِهم: إثارةُ العاطفةِ العامة ضد العلماء، وذلك باستخدام العباراتِ المثيرة، والعناوينِ الصاخبة، والمقاطعِ المشحونة، حتىٰ يتحول الناسُ من البحثِ عن الحق إلىٰ الانفعالِ والغضبِ والاندفاع.

فكم من إنسانٍ تغيَّر قلبُه علىٰ عالمٍ بسبب مقطعٍ مجتزأ، أو إشاعةٍ كاذبة، أو حملةٍ إعلاميةٍ ظالمة!

ومن أخطرِ وسائِلِهم في هذا العصر: استغلالُ وسائلِ التواصل الاجتماعي، حيث أصبحت هذه المنصاتُ ميدانًا واسعًا للطعنِ والتشهير، وسهل علىٰ كل جاهلٍ أن يتكلم، وعلىٰ كل حاقدٍ أن ينشر، وعلىٰ كل صاحبِ هوىً أن يجمع حوله الأتباعَ بالضجيج والإثارة.

فترىٰ الحساباتِ المجهولة تتجرأ علىٰ الأكابر، وتخوض في العلماء بوقاحة، وتنشر الشبهاتِ ليلَ نهار، حتىٰ صار بعضُ الناس يعرف العلماءَ من خلال المقاطعِ المشوهة، لا من خلال علمهم ودروسهم وكتبهم.

ومن وسائِلِهم كذلك: إسقاطُ المحاسنِ وتجاهلُ الفضائل، فلا يذكرون للعالمِ حسناتِه، ولا جهوده، ولا تعليمه، ولا نفعه للأمة، وإنما يركزون علىٰ الزلاتِ والعثرات، وكأن العالمَ لم يقدم للإسلام شيئًا.

وهذا من الظلمِ والجور؛ فإن العدلَ يقتضي أن تُوزن الحسناتُ والسيئات، وأن يُعرف لأهلِ الفضل فضلُهم.

ومن وسائِلِهم أيضًا: إلصاقُ التهمِ بالعلماء، كوصفهم بالتشددِ أو التميعِ أو العمالةِ أو طلبِ الدنيا، بحسب ما يوافق أهواءَهم، لا طلبًا للحق، وإنما تنفيرًا للناس منهم.

وما أكثرَ ما يستعمل أهلُ الأهواءِ هذه الأساليبَ حين يعجزون عن الردِّ العلمي، لأن الحجةَ إذا ضعفت عندهم لجؤوا إلىٰ التشويهِ والإسقاط.

وهكذا يبقىٰ العلماءُ هدفًا دائمًا لأهلِ البدعِ والخصومات، لأن وجودَ العلماء الراسخين يُفسد مشاريعَهم، ويكشفُ تلبيسَهم، ويمنع انتشارَ باطلهم.

ولهذا كان الواجبُ علىٰ المسلم أن يكون فطنًا بصيرًا، لا ينخدع بكل ما يُنشر، ولا يجعل وسائلَ التواصل مصدرَه الوحيدَ لمعرفةِ العلماء والحكمِ عليهم، بل يتثبت، ويتقي الله، ويحفظ لسانَه وقلبَه من المشاركةِ في حملاتِ الظلمِ والتشويه.

فإن هيبةَ العلماء إذا سقطت من القلوب، ارتفع الجهال، وكثر الرويبضة، وضاعت معالمُ الحق، وفتحت أبوابُ الفتن علىٰ الأمة.

خطرُ وسائلِ التواصلِ ودورُها في نشرِ الوقيعة

لقد أصبحت وسائلُ التواصلِ في هذا العصر سلاحًا ذا حدين؛ فهي من جهةٍ بابٌ لنشرِ العلمِ والخيرِ والدعوة، ومن جهةٍ أخرىٰ تحولت عند كثيرٍ من الناس إلىٰ منصاتٍ للطعنِ والتشهير، وميدانٍ فسيحٍ للوقيعةِ في العلماءِ والدعاةِ وأهلِ الفضل.

وفي الأزمنةِ الماضية كانت الكلمةُ تبقىٰ في نطاقٍ ضيق، أما اليوم فقد صار الإنسانُ يكتبُ الكلمةَ أو ينشرُ المقطعَ فتبلغ الآفاقَ في لحظات، فيراها الآلافُ بل الملايين، ولهذا عظُم خطرُ الكلمة، واشتدت مسؤوليةُ اللسانِ والقلم.

وقد استغلَّ أهلُ الأهواءِ هذه الوسائلَ أسوأ استغلال، فجعلوها أدواتٍ لإسقاطِ هيبةِ العلماء، وتشويهِ صورتهم، وإثارةِ الناسِ عليهم، حتىٰ صار بعضُ الحساباتِ لا يعيش إلا علىٰ نشرِ المقاطعِ المبتورة، وإشعالِ الخصومات، وتتبعِ الزلات، وصناعةِ الجدلِ والضجيج.

ومن أخطرِ ما أفسدته وسائلُ التواصل: أنها جرَّأت الجهالَ علىٰ الكلامِ في العلماء، فبعدما كان العاميُّ يعرف قدرَ نفسه، ويهابُ الخوضَ في الأكابر، صار اليوم كلُّ من امتلك هاتفًا يظنُّ نفسَه ناقدًا ومصححًا ومقومًا للعلماءِ والدعاة.

فتجد الرجلَ الذي لم يقرأ كتابًا، ولم يجلس إلىٰ عالم، ولم يعرف أصولَ العلم؛ يتكلم في كبارِ العلماء بوقاحةٍ عجيبة، ويُصدر الأحكامَ الجائرة، ويطعنُ ويُسقط، وربما تبعه الآلافُ من الجهال والمصفقين.

ومن مصائبِ هذه الوسائل: سرعةُ انتشارِ الشائعات، فكم من كذبةٍ انتشرت في دقائق، وكم من عالمٍ ظُلِم بسبب مقطعٍ مبتور، أو تغريدةٍ محرَّفة، أو عنوانٍ مضلل!

ولأن كثيرًا من الناس لا يتثبتون، فإنهم يسارعون إلىٰ النشرِ والتعليقِ والمشاركة، دون خوفٍ من الله، ولا نظرٍ في العواقب، حتىٰ صار بعضُ الناس يشارك في الطعنِ في العلماء وهو لا يشعر أنه يحمل أوزارَ ما ينشره إلىٰ يوم القيامة.

ومن أخطرِ آثارِ وسائلِ التواصل: أنها صنعت ثقافةَ "الترند"، فأصبح بعضُ الناس يطلب الشهرةَ والإعجاباتِ علىٰ حسابِ أعراضِ العلماء وكرامتهم، فإذا أراد الانتشارَ أثار فتنة، أو سخر من عالم، أو نشر مقطعًا مجتزأ، لأن النفوسَ المريضة تعلم أن الجدلَ والطعنَ أسرعُ طريقٍ لجمعِ المتابعين.

وهذا من أعظمِ البلاء؛ إذ تحولت أعراضُ العلماء عند بعض الناس إلىٰ سلعةٍ لجلبِ المشاهدات، ومادةٍ للضحكِ والتفاعل.

ومن خطرِ هذه الوسائل أيضًا: أنها تُميت الهيبةَ من القلوب، لأن كثرةَ رؤيةِ السخريةِ والطعنِ والتنقص تجعل القلبَ يعتاد الجرأةَ علىٰ أهلِ العلم شيئًا فشيئًا، حتىٰ ينشأ بعضُ الشباب لا يعرف للعلماءِ حرمة، ولا لأهلِ الفضل مكانة.

وقد كان السلفُ يربون أبناءَهم علىٰ توقيرِ العلماء، أما اليوم فبعضُ الشباب يتربىٰ عبر المقاطعِ الساخرة والحساباتِ المجهولة التي لا همَّ لها إلا إسقاطُ الأكابر والتنفيرُ منهم.

ومن مصائبِ وسائلِ التواصل كذلك: اختصارُ العلمِ في مقاطعَ قصيرة، وعباراتٍ مثيرة، حتىٰ صار كثيرٌ من الناس يحكم علىٰ العلماءِ والدعاة من خلال ثوانٍ معدودة، لا من خلال علمهم وكتبهم وسنواتِ تعليمهم ودعوتهم.

فربما تكلم العالمُ ساعةً كاملةً بالعلمِ والحكمة، ثم تُقتطع منه جملةٌ واحدة، وتُنشر بطريقةٍ توهم معنىً باطلًا، فيثور الناسُ عليه ظلمًا وعدوانًا.

ومن أخطرِ ما في هذه الوسائل: الحساباتُ المجهولة، التي اختبأ أصحابُها خلف أسماءٍ مستعارة، فأطلقوا ألسنتَهم في العلماء بلا خوفٍ ولا حياء، يطعنون ويشتمون ويسخرون، ولو واجهوا العلماءَ في الواقع ما استطاعوا رفعَ أبصارهم إليهم.

وهذه الجرأةُ إنما جاءت بسبب ضعفِ مراقبةِ الله، وغيابِ الأدب، والشعورِ الكاذب بالأمان خلف الشاشات.

ولذلك كان الواجبُ علىٰ المسلم أن يتقي الله فيما يكتب وينشر، وأن يعلم أن كلَّ كلمةٍ محفوظة، وكلَّ منشورٍ محسوب، وأن الإنسانَ قد يهوي في النار بسبب تغريدةٍ أو تعليقٍ أو مشاركة.

قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق:١٨].

وقال النبي ﷺ: «إنَّ العبدَ ليتكلم بالكلمةِ من سخطِ الله لا يُلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم».

فينبغي للمؤمن أن يجعل وسائلَ التواصل بابًا للخيرِ والعلمِ والدعوة، لا معبرًا للطعنِ والوقيعةِ والخصومات، وأن يحفظ لسانَه وقلبَه من المشاركةِ في حملاتِ التشويهِ والتنقص.

وما أحوجَ الأمةَ اليوم إلىٰ عقلاءَ يطفئون الفتن، لا إلـىٰ مَـن يشـعلونها، وإلـىٰ مَـن ينشرون العلمَ والأدب، لا إلىٰ مَن يملؤون القلوبَ حقدًا وخصومات.

حملاتٌ شعواءُ تُحاولُ إسقاطَ هيبةِ العلماء

ما بين الحين والآخر يسعىٰ أهلُ الأهواءِ إلىٰ شنِّ حملاتٍ شعواء، تُحاول إسقاطَ هيبةِ العلماء، وتشويهَ صورتهم في أعينِ الناس، بنشرِ الشائعاتِ والمكذوبات، وبثِّ الأكاذيبِ والاتهامات، وتتبُّعِ الزلات، واقتناصِ العباراتِ المبتورة، ثم ترويجِها بين العامة؛ ليزهدَ الناسُ في أهلِ العلم، وينصرفوا عنهم إلىٰ ضجيجِ الجهال وصياحِ المتصدرين.

وما هذه الحملاتُ في حقيقتها إلا امتدادٌ لطريقٍ قديمٍ سلكه أهلُ البدعِ والأهواء؛ فإنهم ما استطاعوا يومًا مواجهةَ الحقِّ بالحجةِ والبرهان، فلجؤوا إلىٰ إسقاطِ حملتِه والطعنِ في أهلِه، لأنهم يعلمون أن الأمةَ ما دامت ملتفةً حول علمائها فلن يجد الباطلُ إلىٰ القلوب سبيلًا.

ولهذا ترىٰ أهلَ الأهواء يفرحون بكل كلمةٍ تُقال في عالم، ويُضخمون كل زلة، ويُشيعون كل شائعة، وربما نسبوا إلىٰ العلماء ما لم يقولوه، أو حرَّفوا كلامهم عن مواضعه، أو اجتزؤوا العباراتِ من سياقاتها؛ ليصنعوا من ذلك مادةً لإثارةِ العامة، وتحريكِ الجهال، وإشعالِ نارِ الفتن.

وما أشبهَ هؤلاء بالذباب؛ لا يقع إلا علىٰ الجراح، ولا يلتفت إلىٰ المحاسنِ والفضائل، فلو ملأ العالمُ الدنيا علمًا وتعليمًا ودعوةً وإصلاحًا، ثم أخطأ زلةً واحدة؛ تركوا بحارَ حسناته، وتعلقوا بقطرةِ خطئه، ثم جعلوها سُلَّمًا للطعنِ والتنقصِ والتشويه.

ولو أنصفوا لعلموا أن العصمةَ ليست لأحدٍ بعد رسولِ الله ﷺ، وأن العالمَ مهما بلغ من الفضلِ والعلم فهو بشرٌ يخطئ ويصيب، لكنَّ أهلَ الإنصاف يسترون الزلة، وينصحون برفق، ويحفظون لأهلِ الفضل قدرَهم، أما أهلُ الأهواء فلا يريدون إصلاحًا ولا نصحًا، وإنما يريدون إسقاطَ الهيبة، وكسرَ مكانةِ العلماء في القلوب.

وما أخطرَ سقوطَ هيبةِ العلماء في الأمة!

فإذا هان العلماءُ في أعينِ الناس، تجرأ الجهالُ علىٰ الفتوىٰ، وارتفع الرويبضة، وصار الدينُ نهبًا لكل متكلم، وتلقَّىٰ الناسُ أمورَ دينهم من المقاطعِ العابرة، والكلماتِ المثيرة، والمشاهيرِ الذين لا علمَ عندهم ولا بصيرة.

وحينها تختلط المفاهيم، وتضيع المرجعية، وتكثر الفتن، لأن الأمةَ بلا علماء كالسفينةِ بلا قائد، وكالليلِ بلا نجوم.

وقد كان السلفُ يعظمون العلماء غايةَ التعظيم، ويعرفون أن الطعنَ فيهم بابُ شرٍّ عظيم، -وقد تقدم شيء من آثارهم - لأن الناس إذا فقدوا الثقةَ بعلمائهم فقدوا الثقةَ بالدين الذي يحملونه ويبلغونه.

ولهذا فإن الواجبَ علىٰ المسلم أن يكون عاقلًا بصيرًا، لا ينساق خلف كل شائعة، ولا يصدق كل ما يُنشر، ولا يجعل وسائلَ التواصل ميزانًا للحق والباطل؛ فكم أفسدت هذه المنصاتُ من قلوب، وكم أشعلت من فتن، وكم صنعت من حملاتٍ ظالمةٍ ضد أهلِ العلم والفضل.

فينبغي للمؤمن أن يحفظ لسانه وقلبه، وأن يدعو للعلماء، ويعرف قدرهم، ويُحسن الظنَّ بهم، وأن يعلم أن لحومَ العلماء مسمومة، وأن الوقيعةَ فيهم طريقُ أهلِ الأهواء والخصومات.

الوقيعةُ في العلماءِ وخطرُها على الأمةِ أجمع

إنَّ الوقيعةَ في العلماء ليست خطأً يقف عند حدودِ الأشخاص، ولا ذنبًا يقتصر ضررُه على قائله فحسب، بل هي جنايةٌ على الأمةِ بأسرها، وشرٌّ يمتدُّ أثرُه إلى الدينِ والعقيدةِ والأخلاقِ والأجيال.

فالعلماءُ هم حراسُ الشريعة، وحملةُ العلم، ومرجعُ الناسِ في النوازلِ والفتن، فإذا طُعن فيهم، وسقطت هيبتُهم من القلوب، ضاعت المرجعية، واضطربت المفاهيم، وتجرأ الجهالُ على دينِ الله.

ولهذا كان أهلُ الأهواءِ عبر التاريخ يركزون على إسقاطِ العلماء قبل كل شيء؛ لأنهم يعلمون أن الأمةَ إذا فقدت ثقتَها بعلمائها أصبحت لقمةً سائغةً للشبهات والبدع والانحرافات.

ومن أعظمِ خطرِ الوقيعةِ في العلماء: أنها تُسقط هيبةَ العلمِ من النفوس، فإذا رأى الناسُ العلماءَ يُشتمون ويُسخر منهم ويُتهمون صباحَ مساء، ضعف في القلوب توقيرُ العلم، وقلَّ احترامُ أهله، حتى ينشأ جيلٌ لا يعرف للعلماءِ قدرًا، ولا لأهلِ الفضل منزلة.

وحين تسقط هيبةُ العلماء، يرتفع صوتُ الرويبضة، ويتصدر الجهال، ويتكلم في دينِ الله من لا علمَ عنده ولا بصيرة.

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله لا يقبض العلمَ انتزاعًا ينتزعُه من الناس، ولكن يقبض العلمَ بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».

ومن أعظمِ المصائب أن بعض الناس اليوم يُسهم بنفسه في تحقيقِ هذا البلاء؛ فيطعن في العلماء، ويُسقط مكانتَهم، ثم يشتكي بعد ذلك من انتشارِ الجهلِ والفتن والانحراف.

ومن خطرِ الوقيعةِ في العلماء: أنها تفتح البابَ للطعنِ في الدينِ نفسه؛ لأن العلماءَ هم المبلِّغون عن الله ورسوله، فإذا زُهد الناسُ في العلماء زهدوا في العلمِ الذي يحملونه، وضعفت ثقتُهم بالأحكامِ الشرعية، وصاروا يتلقون دينهم من الجهالِ وأصحابِ الأهواء.

ولهذا ترىٰ كثيرًا من أهلِ الانحراف يبدأون بإسقاط العلماء، ثم ينتهي الأمرُ بالطعنِ في الأحكامِ الشرعية والثوابتِ الدينية.

ومن آثارِ الوقيعةِ في العلماء: تمزيقُ صفِّ الأمة، وإشعالُ الخصوماتِ والعداوات، فإن حملاتِ التشهير والطعن تُولد الأحقاد، وتزرع الفتن، وتشغل الناسَ بالقيلِ والقال، حتىٰ تضيع أوقاتُهم وقلوبُهم فيما لا ينفع.

وكم فرَّقت هذه الحملاتُ بين الشباب، وكم أفسدت من قلوب، وكم صنعت من عداواتٍ وخصوماتٍ كان سببُها مقطعًا مبتورًا، أو إشاعةً كاذبة، أو كلمةً نُقلت بغير حق.

ومن أخطرِ آثارِها كذلك: تنفيرُ الناسِ عن طلبِ العلم، فإن الشابَّ إذا رأىٰ العلماءَ يُهاجَمون باستمرار، ويُشتمون ويُسخر منهم، ربما زهد في العلمِ وأهله، وظنَّ أن هذا الطريقَ لا ثمرةَ فيه إلا الخصومات والطعن.

وحينها تخسر الأمةُ جيلًا كان يمكن أن يكون من أهلِ العلم والدعوة والإصلاح.

ومن خطرِ الوقيعةِ في العلماء: أنها تُميت معاني الأدبِ والاحترامِ في النفوس، فإذا اعتاد الناسُ سماعَ الطعنِ في الأكابر، سهل عليهم بعد ذلك الطعنُ في الوالدين،

والمعلمين، وأهلِ الفضل كافة، لأن من سقط الأدبُ مع العلماء سقط الأدبُ مع غيرهم من باب أولىٰ.

كما أن الوقيعةَ في العلماء تُفرح أهلَ البدعِ والفساد، لأنهم يرون فيها هدمًا للحصونِ التي كانت تكشفُ باطلهم وتحذرُ الناسَ منهم.

ولهذا كان الطعنُ في العلماء من أحبِّ الأمور إلىٰ أهلِ الأهواء؛ لأنه يفتح لهم الطريقَ لبثِّ الشبهات، ونشرِ الانحرافات، واستمالةِ الشبابِ والعامة.

ومن أخطرِ ما في هذا الباب: أن كثيرًا من الناس يظنون الوقيعةَ في العلماء أمرًا هيِّنًا، مع أن آثارها قد تمتدُّ لسنواتٍ طويلة، وربما كان منشورٌ أو مقطعٌ سببًا في إسقاطِ عالمٍ من أعينِ آلافِ الناس، فيُحرمون الانتفاعَ بعلمه، ويُفتح عليهم بابُ الشك والاضطراب.

فإذا حفظت الأمةُ مكانةَ علمائها بقي لها نورُها وهيبتُها، وإذا أسقطت علماءَها ضاعت معالمُ الحق، وارتفعت راياتُ الجهل، وكثرت الفتنُ والخصومات.

فيا أيها الموفق، احفظ لسانَك من الوقيعةِ في العلماء، واعرف لأهلِ الفضل قدرَهم، ولا تكن عونًا لأهلِ الأهواءِ في إسقاطِ هيبةِ العلمِ وأهله.

واجبُنا نحوَ علماءِ الأمة

إنَّ العلماءَ هم صفوةُ المجتمع، ونورُ الأمة، وحملةُ ميراثِ النبوة، وبهم يحفظُ اللهُ الدينَ من التحريف، ويُقيم الحجةَ علىٰ العباد، ويُبصر الناسَ بأمورِ دينهم ودنياهم. وإذا كان لكلِّ صاحبِ فضلٍ حقٌّ يُعرف، فإن حقَّ العلماء أعظمُ الحقوق بعد حقِّ الوالدين؛ لأن الوالدَ سببٌ في حياةِ الجسد، والعالمُ سببٌ في حياةِ القلب والروح.

ولهذا كان من الواجبِ علىٰ المسلمين أن يعرفوا للعلماءِ قدرَهم، وأن يُنزلوهم منزلتَهم التي أنزلهم اللهُ إياها، فلا يُغالوا فيهم غلوَّ أهلِ الجهل، ولا يجفوا عنهم جفاءَ أهلِ الأهواء، بل يسلكوا سبيلَ أهلِ السنةِ والعدلِ والإنصاف.

ومن أعظمِ واجبِنا نحو العلماء: محبتُهم في الله، فإن محبةَ أهلِ العلم من محبةِ الخير، ومن دلائلِ سلامةِ القلب، لأن القلوبَ السليمة تُحبُّ من يدلُّها علىٰ الله، ويأخذ بيدها إلىٰ طاعته.

ومن حقِّهم علينا: توقيرُهم وإجلالُهم، وإظهارُ الاحترامِ لهم في المجالسِ والكلامِ والكتابة، وعدمُ رفعِ الصوتِ عليهم، أو مخاطبتِهم بسوءٍ أو استخفاف، فإن الأدبَ مع العلماء من الأدبِ مع العلمِ نفسه.

وكان السلفُ يجلُّون العلماءَ غايةَ الإجلال، حتىٰ قال بعضهم: "كنتُ إذا جلستُ بين يدي العالمِ جلستُ جلسةَ العبدِ الذليل بين يدي سيده".

وما ذاك إلا لأنهم أدركوا أن العلمَ لا يُنال بالكبرِ وسوءِ الأدب، وإنما يُنال بالتواضعِ والتوقير.

ومن واجبِنا تجاه العلماء: الدعاءُ لهم في حياتهم وبعد مماتهم؛ فهم أحوجُ الناسِ إلىٰ الدعاء، لكثرةِ ما يحملون من همومِ الأمة، وما يلاقونه من أذىٰ الخصوم، ومشقةِ التعليم والدعوة والإصلاح.

فينبغي للمسلم أن يلهج لسانُه بالدعاء لهم: أن يحفظهم الله، ويبارك في أعمارهم، وينفع بعلمهم، ويثبتهم علىٰ الحق، ويغفر زلاتهم، ويرحم من مات منهم.

ومن حقِّ العلماء علينا: الدفاعُ عنهم إذا تعرَّضوا للطعنِ والتنقصِ والتشويه، خصوصًا في هذا الزمن الذي كثرت فيه حملاتُ التشهير، وصارت وسائلُ التواصل ميدانًا يعبث فيه الجهالُ بأعراضِ أهلِ العلم.

فلا يجوز للمسلم أن يكون إمَّعةً يردد كل ما يسمع، أو ينشر كل ما يقرأ، بل الواجبُ التثبت، وحفظُ اللسان، وردُّ الباطل، والذبُّ عن أهلِ الفضل.

فإن الدفاعَ عن العلماء ليس دفاعًا عن أشخاصٍ مجردين، بل هو دفاعٌ عن هيبةِ العلم، وحمايةٌ لمكانةِ الشريعة في النفوس.

ومن واجبِنا نحو العلماء: نشرُ فضائلِهم، وذكرُ جهودِهم، والتعريفُ بعلمهم وسيرتهم، فإن كثيرًا من الناس لا يعرفون عن العلماء إلا ما تنشره حملاتُ التشويه، بينما تُخفىٰ عنهم سنونُ التعليم، والصبر، والدعوة، والإصلاح.

فمن الوفاءِ لأهلِ العلم أن تُذكر محاسنُهم، وتُنشر فوائدُهم، ويُشجَّع الناسُ علىٰ الاستفادةِ منهم والرجوعِ إليهم.

ومن حقوقِ العلماء: حسنُ الظنِّ بهم، وحملُ كلامهم علىٰ أحسنِ المحامل، وعدمُ التسرعِ في إساءةِ الفهم، أو تتبعِ الزلات، أو تضخيمِ الأخطاء.

فالعالمُ بشرٌ ليس بمعصوم، وقد يجتهدُ فيصيب أو يخطئ، لكنَّ أهلَ الإنصاف ينظرون إلىٰ بحارِ حسناته، وعظيمِ نفعه، ولا يُسقطونه بزلةٍ أو اجتهاد.

أما أهلُ الأهواء فإنهم يتربصون بالعالمِ الزلة، فإذا وجدوا كلمةً أو موقفًا جعلوه معولًا لهدمِ مكانته، ونسفِ تاريخه، والتنفيرِ منه.

ومن الواجبِ تجاه العلماء: التلقي عنهم، والرجوعُ إليهم في النوازلِ والفتن، وعدمُ تقديمِ أقوالِ الجهالِ والمتعالمين عليهم.

ففي زمنِ كثرةِ المتصدرين، صار كثيرٌ من الناس يأخذ دينه من المقاطعِ المختصرة، أو من المشاهير، أو من أصحابِ العباراتِ الرنانة، وتركوا العلماءَ الراسخين الذين أفنوا أعمارهم في طلبِ العلم وتعليمه.

وهذا من أعظمِ أسبابِ الفتن والانحراف.

ومن حقِّ العلماء علينا: سترُ زلاتهم، وعدمُ إشاعةِ أخطائهم بين العامة؛ لأن نشرَ الزلات يُسقط الهيبة، ويُفرح أهلَ البدع، ويُضعف ثقةَ الناس بأهلِ العلم.

وليس معنىٰ هذا تركَ البيانِ عند الخطأ، لكن يكون ذلك بعلمٍ وعدلٍ وأدب، بعيدًا عن التشهيرِ والتشهِّي والشماتة.

ومن واجبِنا أيضًا: التماسُ الأعذارِ لهم، ومعرفةُ أقدارهم، فإن العالمَ قد يقول الكلمةَ باجتهادٍ، أو تخفىٰ عليه بعضُ الأمور، أو يُنقل كلامُه مبتورًا محرَّفًا، فلا يجوز التسرعُ في إسقاطه والطعنِ فيه.

ومن الوفاءِ للعلماءِ: قراءةُ كتبهم، ونشرُ علومهم، وحضورُ مجالسهم، والاستفادةُ من توجيهاتهم، وربطُ الشبابِ بهم؛ حتىٰ تبقىٰ صلةُ الأمة بعلمائها قويةً متينة.

ومن أعظمِ ما يجب تجاه العلماء: حفظُ اللسانِ عن الوقيعةِ فيهم، فإن لحومَ العلماءِ مسمومة، والوقوعَ في أعراضِهم من أسبابِ قسوةِ القلب وحرمانِ التوفيق.

وكم من رجلٍ أطلق لسانَه في العلماء، فعوقب بفسادِ القلب، واضطرابِ الفكر، وحرمانِ بركةِ العلم والعمل.

فيا أخي الكريم، اعرف لأهلِ العلم قدرَهم، وأحبَّهم، وادعُ لهم، وانشر فضلَهم، وتأدب معهم، واحذر أن تجعل نفسَك جسرًا يعبر عليه أهلُ الأهواء للطعنِ في العلماء.

فإن الأمةَ إذا حفظت مكانةَ علمائها بقي لها عزُّها وهيبتُها، وإذا أسقطت علماءَها ضاعت معالمُ الحق، وارتفع الجهل، وتصدر الرويبضة، وفتحت أبوابُ الفتن علىٰ مصاريعها.

وفي الختام...

يا من لوَّث لسانَه وبنانَه بالوقيعةِ في أهلِ العلم،

يا من جعل أعراضَ العلماء ميدانًا لسخريتِه، ومنابرَ الطعنِ طريقًا لشهرتِه،

يا من كذب وافترىٰ، ولم يَرعَ للعلمِ حرمة، ولا لأهلِ الفضلِ مكانة...

تمهَّل قليلًا...

فإنك لا تُخاصم رجلًا من عامةِ الناس، بل تُخاصم قومًا رفع اللهُ قدرَهم، وزكَّىٰ شأنَهم، وجعلهم ورثةَ أنبيائِه، وأهلَ خشيته.

انتبه...

أن تُعلن الحربَ علىٰ من أفنوا أعمارَهم في خدمةِ الدين، وسهروا الليالي بين كتابٍ وتعليم، ودعوةٍ وإصلاح، وصبروا علىٰ الأذىٰ؛ ليصلَ إليك نورُ العلم صافيًا نقيًّا.

أيحسبُ الطاعنُ في العلماء أنه إذا أسقط هيبتَهم ارتفع؟!

كلا...

بل يسقط من حيث ظنَّ أنه يرتفع، ويصغر في القلوبِ وإن علا صوتُه، ويُحرم بركةَ العلم وإن كثرت كلماتُه.

ويا من تتتبع الزلات، وتفرح بالعثرات، وتُشعل المجالسَ والصفحاتِ بالطعنِ والتشهير...

أما علمتَ أن الكلمةَ سهم؟

وأن الجراحَ التي تُحدثها الألسنةُ قد لا تندمل؟

وأن خصمَك يوم القيامة قد يكون عالمًا طالما آذيتَه، أو شوَّهتَ صورتَه، أو نفَّرتَ الناسَ عنه؟

فاللهَ اللهَ في ألسنتكم...

فإن لحومَ العلماء مسمومة، وعادةَ اللهِ في منتقصيهم معلومة.

ويا طلابَ العلم... يا شبابَ الأمة...

اعرفوا لعلمائكم قدرَهم، واحفظوا لهم مكانتَهم، وانشروا فضائلَهم، وادعوا لهم، وذبُّوا عن أعراضِهم، ولا تكونوا معاولَ هدمٍ في أيدي أهلِ الأهواءِ والخصومات.

خذوا العلمَ بأدب، واحملوا الحقَّ برحمة، وتذكَّروا أن الأمةَ إذا سقط علماؤها من أعينِ أبنائها، ارتفع الجهال، وتكلم الرويبضة، وضاعت معالمُ الطريق.

كونوا حراسًا لهيبةِ العلم، لا أبواقًا للطاعنين، وكونوا مفاتيحَ خيرٍ تجمع القلوبَ علىٰ الحق، لا معاولَ فرقةٍ تمزق الصفوف.

نسأل الله أن يحفظ علماءَ المسلمين، وأن يبارك في أعمارهم وأعمالهم، وأن يرزق الأمةَ تعظيمَ العلمِ وأهله، وأن يطهر قلوبَنا من الحقدِ والهوىٰ، وألسنتَنا من الوقيعةِ والافتراء.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وفي خاتمة هذه الصفحات الوجيزة يتبيّن أن الوقيعة في العلماء ليست زلّة لسانٍ عابرة، بل هي مسلكٌ مُظلم تُنتهك فيه الحُرُمات، وتُستباح فيه هيبةُ ورثة النبوة.

فالعلماء موضعُ الهداية، وبهم تُصان معالم الدين، ومتىٰ سقطت مكانتهم في القلوب اضطرب ميزان الفهم، وتجرأت الألسنة، وانفرط عقد الاتباع.

وإن من أعظم دلائل الرشد: إنصافُ أهل العلم، وكفُّ الأذىٰ عنهم، ومعرفةُ قدرهم دون غلوٍّ ولا جفاء.

نسأل الله أن يحفظ ألسنتنا من الزلل، وقلوبنا من الهوىٰ، وأن يرزقنا الإنصاف للحق وأهله، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

الفهرس

مقدمة ٢

فضلُ العلماءِ ومكانتُهم ٥

حرمةُ الوقيعةِ في أعراضِ العلماء ٩

اللهُ يدافعُ عن العلماء ١٢

عقوبةُ الوقيعةِ في أعراضِ العلماء ١٤

الوقيعةُ في العلماءِ سبيلُ أهلِ الأهواءِ ٢٠

علاماتُ أهلِ الأهواءِ في تعاملِهم مع العلماء ٢٢

وسائلُ أهلِ الأهواءِ في محاولةِ إسقاطِ هيبةِ العلماء ٢٦

خطرُ وسائلِ التواصلِ ودورُها في نشرِ الوقيعة ٣٠

حملاتٌ شعواءُ تُحاولُ إسقاطَ هيبةِ العلماء ٣٤

الوقيعةُ في العلماءِ وخطرُها على الأمةِ أجمع ٣٦

واجبُنا نحوَ علماءِ الأمة ٣٩

وفي الختام... ..... ٤٣

الفهرس ٤٦